**محاضرة الخامسة : فلسفة التاريخ عند هيغل**

1 التعريف بالفيلسوف :جورج فلهلم فريدريك هيغل \_ 1770 - 1831 من أهم

فلاسفة ألمانيا, ولد في مدينة شتوتغارت , حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة

المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي, لذلك فإن النصوص

الفلسفية الهيغيلية من أقوى النصوص من حيث غزارة الإنتاج وكثافة المعنى, ما

جعل بعض الفلاسفة يقسمون الفلسفة الغربية المعاصرة إلى ما قبل وما بعد فلسفة

هيغل, وذلك راجع إلى الأثر العميق الذي تركته فلسفته في الفكر الغربي المعاصر,

ويعد هيغل مؤسس التيار المثالي في الفلسفة الغربية المعاصرة الذي يؤمن بأسبقية

الفكر على الواقع. من أهم مؤلفاته: العقل في التاريخ ,أصول فلسفة الحق ,

فينومينولوجيا الروح ,فلسفة الدين...

2- أنواع التاريخ عند هيجل :

إن التاريخ عند هيجل حركة منطقية جدلية وهو في الغالب سلسلة من الثورات

يستخدم فيها المطلق الشعوب أثر الشعوب والعباقرة أدوات في تحقيق النمو و

التطور ونحو الحرية والمقصود منها التاريخ هو مجموعة أو قيام سلسلة من

الثورات التي يقوم بها الشعوب والتي تقوم من أجل تغيير مبدأ الحياة و يستخدم في

هذه الثورة ناتج التطور الذي تحققه بحيث نجد في كل مرحلة من مراحل التاريخ

تناقض بين أطراف و لا يستطيع حل هذا التناقض سوى صراع الأضداد فالتاريخ

هو نمو الحرية و تطورها .

أذ اعتبرت هذه نظرة هيجل للتاريخ باعتباره مسرحا للجدلية وسعيا للرقي والوعي

والوصول للحرية فهو يرى أن التاريخ هو مسار يعبر عن التقدم من خلال الشعور

بالحرية وهو لا يرى أن الحروب والصراعات بين الأمم ضرورية للتقدم فحسب

بل إنه يرى أهم فترات الرخاء والسلام الخالية من التناقض ليست عصورا

تاريخية ولا تعتبر مرحلة تاريخية أثناء عرض مراحل التاريخ. كما نجد التاريخ

ينبثق كرواية للأحداث وفي نفس الوقت كأعمال و أحداث تاريخية فالمجتمعات التي

لا تكتب التاريخ ليس لها تاريخ فالأحداث التاريخية تتطلب أن تكون على وعي

ذاتي ودراية بها تكشف عن نفسها في الكتابة التاريخية ,ومنه نستخلص ثلاثة أنواع

لكتابة التاريخ عند هيجل :

التاريخ الأصلي: والمقصود به ذلك التاريخ الذي يكتبه المؤرخ و هو يعيش أصل

الأحداث و منبعها فهو ينقل ما يراه أمامه وما سمعه من الاخرين كما هو او على

حسب ما تم روايته له أو نقل إليه بحيث ينقله بتفاصيله و يجعلنا نعيش الأحداث و

كأننا مررنا بها أو تعرضنا لها أي يقوم بتجسيدها في تصورنا العقلي ومن أهم

خصائص هذا النوع :

- يقوم المؤرخ برواية الأحداث التي عاشها و بالتالي فإن روح المؤرخ تصير هي

نفسها روح العصر.

- أن تكون الفترة التي يكتبها المؤرخ عادة قصيرة .

يهتم المؤرخ برواية أحداث منفردة تتعلق بأشخاص أم بأمور أخرى . \_

يقتصر الراوي في رواية الأحداث على ملاحظاته الشخصية . \_

التاريخ النظري : وهي أن المؤرخ لا يعيش الأحداث التي يرويها ,إنما هو يجاوز

العصر الذي يعيش فيه لكي يؤرخ لعصر اخر أي أن المؤرخ يسجل أعمال

الماضي أي هو يعيش في عصر و في حقبة و يكتب أحداث لفترة أخرى غير التي

يعيش فيها و يؤول الماضي بنظرة العصر الذي يحيا فيه إذ يقر يقر بذلك يمكن أن

نسمي النوع الثاني من التاريخ باسم التاريخ النظري و المقصود به التاريخ الذي

يعرض بطريقة لا تحصر نفسها في حدود العصر الذي ترويه بل يتجاوز روح

العصر الحاضر ,أي تجاوز العصر الذي يعيش فيه إلى عصر أخر فيروي أحداثا

موافقة لم يشهدها و لم يعش أصها .

التاريخ الفلسفي : يرى هيجل هذا النوع من التاريخ يحتاج إلى شرح و تفسير أكثر

من الأنواع الأخرى إذ يرى بعدم ضرورة إطالة الشرح في النوعين السابقين إذ

يرى هيجل أن المؤرخ الفلسفي يستخدم النتائج التي وصل إليها المؤرخ الأصلي

لكي يقوم بتأويل التاريخ على أنه التطور العقلي للروح في الزمان وذلك شيء يفلت

من صناع التاريخ ومن المؤرخين الاخرين , ما يمكن فهمه هو أن هذا النوع يكون

نتيجة جمع بين التاريخ الأصلي و التاريخ النظري بحيث يقوم الذي يؤرخ التاريخ

الفلسفي إلى التوصل من خلال ماتم التطرق إليه قبله و يصل إلى نتائج تخطر ببال

الذين سبقوه .

3- المنهج الجدلي عند هيجل ) الديالكتيكي ( :

عرف المنهج الجدلي بأنه ذلك المنهج الذي يبحث عن الحقيقة من داخل الظاهرة

ويتتبع مراحل تغير الظاهرة بناءا على الصراع الداخلي الذي يحدث للظاهرة, على

عكس المنهج التجريبي الذي يدرس الظاهرة من الخارج عن طريق الملاحظة

والتجربة.كما يعرف بأنه المنهج الذي يبحث عن الأجزاء التي تكون الظاهرة

ويدرس مدى تناقضها ويبحث في إمكانية حدوث صراع بين هاته الأجزاء داخل

الظاهرة .

إن الجدل عند هيجل هو تقدم مطور للمعرفة فهو صورة لجدل الأشياء إذا في كل

مرحلة ينبثق عنها التناقض من صميم الأشياء من أجل التصاعد نحو التأليف

وصولا إلى وحدة تتحقق في الواقع فهو قانون تطور الوجود والفكر في ان واحد

حيث اكتشف هيجل فيه ضرورة التناقض و التجاوز المستمر من أجل الانتقال إلى

مرحلة أخرى يظهر فيها التأليف بين التناقضات لتصل في النهاية إلى تحقيقها في

الواقع .

إذن الجدل الهيجلي يعني ان الأشياء ليست في حالة انسجام وتصالح بل في حالة

صراع وتناقض دائم فكل الظواهر متناقضة بصورة أو بأخرى حتى و إن بدت

غير ذلك. ومنه يقوم الجدل عند هيجل على ثلاثية متعارضة وهي القضية ونقيض

القضية ومركب القضية ويشير هذا الثلاثي للجدل الهيجلي إلى أن العقل يبدأ بإثبات

حقيقة ثم ينكرها ثم يركب بينها .

4 - النزعة المثالية في تفسير التاريخ :

تعتبر المثالية مدرسة مهمة في تفسير تاريخ العالم حيث كانت جذورها الأولى تعود

إلى الفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون فإن شروطها كحقل معرفي متميز قد

توفرت مع إكتمال الفلسفة الغربية مع نسق هيجل و مثاليته المطلقة هذا الفيلسوف

الألماني هو الذي بلور الديالكتيك في معارف أساسية .و إذا كان الجدل أو

الدياليكتيك طريقة خاصة في البحث فقد حوله هيجل إلى شيء جديد إذ أصبح

طريقة لتفسير الواقع فالتناقض ليس في الأراء فقط بل هو ثابت في صميم كل واقع

فأقام منطق على هذا الأساس المنطق الجدلي و جعله تفسير للمجتمع و الدولة و

يعتبر هيجل أن الفكر يتطور من قضية إلى نقيضها إلى قضية تركيبية بين نقيضين

لكنها مخالفة لهما وهكذا يستمر الحال حتى تصل الفكرة إلى المطلق الذي يخلو من

الصراع و التناقض و لقد اعتمد هيجل على أن الفكر يسير دائما على هذا المنوال

فهو يبدأ بقضية و يعارضها في الحال نقيضها , ثم تظهر فكرة أوسع تجمع بينهما

في مركب واحد غير أن ه<ا المركب يثير بدوره نقيض جديد و تتكرر العملية

ذاتها من جديد .

التاريخ عند هيغل هو نتاج إرادة وتخطيط وليس وليد الصدفة, والآراء والأفكار

هي التي تسنيّ التاريخ, فالنهضة الأوربية قامت على أساس أفكار النابغيّ في أوربا

الغربية ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادي, والثورة الفرنسية اندلعت متأثرة

بآراء وأفكار المفكرين الفرنسييّن أمثال فولتيّر ومونتيسكيو وجون جاك روسو.

ومن هذا المنظور يتضح أن العقل عند هيغل هو الذي يحكم التاريخ, لأن التاريخ

هو تاريخ الإنسان, والإنسان كائن عاقل, وبذلك فالتاريخ عبارة عن سلسلة من

تطور الوعي بالحرية وتاريخ الإنسانية هو تقدم نحو الشعور بالحرية.

والقول بنهاية التاريخ عند هيغل يترتب عنه أن التاريخ يسيّر في مسار خطي

متصاعد قاعدته الحضارة اليونانية التي عرفت بعض أشكال الحرية وقمته الأمة

الجرمانية التي تسودها الحرية المطلقة .

5- الدولة وتطور التاريخ :

الدولة عند هيغل هي إحدى منجزات العقل, وهي تعبيّ عن روح الجماعة والإرادة

العامة, والدولة هي التي تج نسد فعليا وعمليا مفهوم الحرية, ومن هذا المنطلق فإنه

لا يمكن تصور حرية دون دولة تعبر عن أهداف المجتمع, وهذه الحرية مضمونة

بموجب دستور تقرره الأمة بحرية, وهنا تكون الدولة هي كنه تطور التاريخ عند

هيغل وتجسيدا للصيّورة التاريخية.

ظهور الدولة في أي مجتمع هو الذي يقسم الشعوب إلى تاريخية أو لاتاريخية

حسب هيغل, لأن الدولة هي الإطار التنظيمي والاجتماعي الذي يعكس درجة

الوعي بالحرية, وبتتبعه للتاريخ ومن منظاره يخلص هيغل إلى أن العالم الشرقي

هو عالم ما قبل التاريخ لأنه عالم تحكمه الأساطيّر والخرافات والخضوع للأفراد

الطغاة وليس للقانون, في حيّ الشعوب الغربية هي الشعوب التاريخية لأنها عرفت

الوعي بالحرية وعرفت الدول التي تجسد التحقق الفعلي للتاريخ. ومن هذا التصور

يكون العالم الشرقي اللاتاريخي هو نقطة البداية, في حيّ العالم الغربي التاريخي

هو النضج والكمال ولعل العناية التي أولاها هيغل للدولة واعتبارها تجسيدا للوعي

الإنساني, راجعة إلى كونها محور العملية التاريخية والفكر التاريخي وجوهر

الحضارة والرقي, لأن الدولة تكبح العواطف الشرسة وتنظم الإنسان عن طريق

المؤسسات.